العددِ 20 شباط 2026
No.20 Feb.2026
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

الهرمنيوطيقا في الميزان الاسلامي

م.د. نعمه حمد ياسين حبيب

كلية الامام الكاظم عليه السلام

nema_ahmed@alkadhum-col.edu.iq

المستخلص

يتناول هذا البحث مفهوم الهرمنيوطيقا من حيث الأصل اللغوي والتاريخي، ومسارات تشكّلها في الفكر الغربي بوصفها أداة لتفسير النصوص، ولاسيما الدينية منها، مع تتبّع مراحل تطورها عبر ثلاث محطات رئيسة: الهرمنيوطيقا الكلاسيكية المنهجية، والرومانسية/النفسية، ثم التأويلية الفلسفية ذات المنحى الوجودي والنِّسبي. كما يرصد البحث انتقال هذا المنهج إلى بعض الكتاب الحداثويين العرب والمسلمين، مع التركيز على نماذج مثل نصر حامد أبو زيد ومحمد مجتهد شبستري، وبيان مرتكزاتهم في قراءة النص الديني، ولاسيما فكرة مركزية القارئ وتاريخية الفهم وتعدّد القراءات. وفي مقابل ذلك، يقدّم البحث قراءة نقدية من منظور "الميزان الإسلامي" تؤكد أنّ النص القرآني والسنة النبوية يمتلكان منظومة تفسيرية داخلية متكاملة (قرآناً وبياناً نبويّاً وأصولاً علمية) تغني عن استيراد أدوات تفسيرية وافدة نشأت في سياقات دينية وتاريخية مختلفة. ويخلص البحث إلى أنّ تعميم الهرمنيوطيقا، خصوصاً بصيغتها النسبية، يفضي إلى إضعاف معيارية النص وإنتاج فوضى تأويلية، مع التأكيد على ضرورة التمييز بين التعدد المنضبط داخل التراث الإسلامي وبين نسبية المعنى المفتوحة.

الكلمات المفتاحية : الهرمنيوطيقا، النصوص الدينية، الدازاين، العقل الحداثوي، الميزان الإسلامي.

Hermeneutics in the Islamic Balance

Ne'mah Hamad Yaseen Habib
Al-Imam Al-Kadhim College (peace be upon him)
nema_ahmed@alkadhum-col.edu.iq

Abstract

This study examines the concept of hermeneutics in terms of its linguistic and historical origins and traces its formation within Western thought as a tool for interpreting texts, particularly religious ones. It follows the stages of its development through three main phases: classical methodological hermeneutics, romantic/psychological hermeneutics, and philosophical hermeneutics with its existential and relativistic orientation. The research also investigates the transmission of this approach to some Arab and Muslim modernist thinkers, focusing on figures such as Nasr Hamid Abu Zayd and Mohammad Mojtahed Shabestari, and clarifies the foundations of their readings of religious texts, especially the notions of the centrality of the reader, the historicity of understanding, and the plurality of interpretations. In contrast, the study offers a

critical reading from the perspective of the "Islamic balance," emphasizing that the Qur'anic text and the Prophetic Sunnah possess an integrated internal interpretive system—comprising the Qur'an itself, Prophetic exposition, and established scholarly principles—that renders the importation of external interpretive tools unnecessary, particularly those that emerged from distinct religious and historical contexts. The study concludes that the uncritical generalization of hermeneutics, especially in its relativistic form, leads to the erosion of textual normativity and produces interpretive chaos, stressing the need to distinguish between disciplined plurality within the Islamic tradition and open-ended relativism of meaning.

Keywords: Hermeneutics, Religious Texts, Dasein, Modernist Mind, Islamic Balance.

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبدوام ذكره تُستدفع النقم، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، منارات الهداية وقادة الأمم. أمّا بعد؛ فإنّ موضوع الهرمنيوطيقا يُعدّ من القضايا التي دخلت إلى الأدبيات الفكرية في العالم الإسلامي في مرحلة متأخرة، عبر كتاب وباحثين مسلمين تأثروا بالمدارس الفكرية الغربية وروّادها، فذهب بعضهم إلى إمكان توظيف آليات الهرمنيوطيقا في قراءة النصوص الدينية الإسلامية، وفي مقدّمتها القرآن الكريم. غير أنّ هذا التوجّه انطوى على التباسٍ منهجيّ واضح، مردّه إلى التسوية بين النص القرآني وغيره من النصوص الدينية أو التاريخية، مع إغفال الخصوصية البنيوية والمعرفية للكتاب المبارك وما يمتلكه من منظومة تفسيرية متكاملة. وانطلاقاً من ذلك، جاء هذا البحث ليعالج الموضوع ضمن ثلاثة مباحث؛ خُصِّص المبحث الأول لعرض المفاهيم العامة المرتبطة بالبحث، وتضمّن ثلاثة مطالب: تناول الأوّل تعريف الهرمنيوطيقا وأصل المصطلح وجذوره، وناقش الثاني الغاية والثمرة المتوخّاة من اعتمادها منهجاً تأويلياً للنصوص، فيما عالج الثالث تاريخ هذا الفن وعلاقته بالنصوص الدينية. أمّا المبحث الثاني فقد خُصِّص لدراسة المدارس الهرمنيوطيقية الثلاث، حيث جرى تناول كل مدرسة من حيث نشأتها التاريخية، وأبرز روّادها، وأهم مرتكزاتها النظرية. وجاء المبحث الثالث بعنوان: الهرمنيوطيقا بين العقل الحداثوي والميزان الإسلامي، واشتمل على مطلبين؛ عالج الأوّل مفهوم الهرمنيوطيقا في الخطاب الحداثوي ومن يمثّله، فيما خُصِّص الثاني لبحث موقع الهرمنيوطيقا في الميزان الإسلامي، ومدى صلاحيتها أداةً تفسيرية من منظور الشريعة الإسلامية قرآناً وسنّة، ليُختتم البحث بعرض أبرز النتائج التي تمّ التوصّل إليها.

المبحث الأول: مفاهيم عامة.

المطلب الأول: التعريف بمصطلح الهرمنيوطيق .

1- الهرمنيوطيق في اللغة.

جرت العادة عند أهل العلم حين البحث في الميادين العلمية المختلفة الإنسانية وغيرها، البدء بتعريف العلم الذي يكون موضع البحث، باعتبار إنَّ التعريف يمثل البوابة الأولى التي يدخل من خلالها الباحث والقارئ

لهذا العلم، وتعتبر مفردة الهرمنيوطيق من المفردات الحديثة التي طرحت بصورتها الحالية، لذلك كان الاختلاف في تعريفها شيء طبيعي ولا يثير الاستغراب، إلا أننا يمكن أن نقف عند الأصل الذي خذت منه هذه المفردة، فهناك من يرى بأنَّها مشتقة من الفعل اليوناني (Hermenevein)[1]، ويعني هذا الفعل بأنه :(يفسر)[2]، وذهب آخرون إلى أنَّ هذا المصطلح مأخوذ من مفردة (Hermeneutikikos) والتي تعني (التوضيح) والمراد منه ما يزيل الغموض والالتباس في موضوع ما [3]، ويرى قسم من الباحثين، بأنَّ هناك ارتباطا في الجذر المعرفي بين الهرمنيوطيقا و(هرمس)، (Hermes)، الذي هو اسم من أسماء الآلهة الإغريقين، ومنه اشتق الفعل (heremeneuein)[4]، وتذكر المصادر بإنَّ (هرمس) إله متعدد المواهب : وهو الرسول الذي يروح ويغدو بين زيوس والآلهة الأخرى، أو بين زيوس والبشر، أو هو الملاك الذي ينقل رسائل الآلهة ودساتيرها إلى الأرض[5]، وأنَّ هذا الارتباط ناجم عن انعكاس لعملية التفسير الثلاثية الأبعاد:(الإشارة، الموضوع، المفسّر)[6]، وتجتمع مواهب هرمس في سمتين، هما: الوساطة بين طرفين، والقدرة على استخدام الحيلة في الوصول إلى الهدف[7].

2- الهرمنيوطيقا في الاصطلاح.

عرفت هذه المفردة من أهل العلم والمختصين بعدة تعريفات يمكن ان نقف على أهمها:

1- يرى كلادينوس الهرمنيوطيقا هي: (فنُّ التوصل إلى فهم كامل وتام للتعابير الكلاميَّة والكتابيَّة)[8]

2- شلاير ماخر على أنها: هي مجموعة القواعد المنهجية المستخدمة لرفع خطر سوء الفهم الذي يتعرض له المتن، بأنها نظرية الفهم؛ أي فن الفهم، حيث يُبيَّن فيها شروط فهم أيِّ نصٍّ وكلامٍ.[9]

3- ويلهلم ديلثي: علم يتكفل بعرض مناهج العلوم الإنسانية[10].

4- أمَّا هايدغر ، فعرفها (فنُّ إدراك لغة الإنسان الآخر، خصوصاً اللغة المكتوبة)[11]

5- وأما نصر حامد أبو زيد فيعدُّها (نظريَّة التفسير)[12] فيتحصل مما تقدم أن المراد من الهرمنيوطيقا : هو علم يساهم في إيضاح النص، سواء كان مكتوباً أو غير مكتوب، مقدس ام غير مقدس.

المطلب الثاني: غاية الهرمنيوطيق.

---

[1]- رضائي، محمد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، ص298.
[2]- مصطفى، عادل، فهم الفهم، ص25.
[3]- أنظر: محمد، بهرامي، الهرمنيوطيقا وعلم التفسير، ص29.
[4]- أنظر: بهرامي، محمد المصدر السابق، ص29.
[5]- رضائي، محمد علي ، المصدر السابق، ص298.
[6]- بهرامي، محمد المصدر السابق، ص29- 30.
[7]- أنظر: زايد ، أحمد، الهرمنيوطيقا وإشكالية التأويل والفهم في العلوم الاجتماعية، كلية الإنسانيات العلوم الاجتماعية، العدد الرابع عشر، 1991 ، ص229.
[8] -Mueller, K. Volmer. The Hermeneutics Reader, New York Contiramm, 1986, p. 5. نقلاً عن مجلة الحياة الطيبة ، العدد 29، ص141.
[9] - انظر: جان جروندان، مقدمة في التأويل الفلسفي، ص64.
[10]- رضائي، محمد علي، المصدر السابق، ص300
[11]- Groundin, Jean: Introduction to Philosophical Hermeneutics, Yale University Press, 1994, p. 6. نقلاً عن اللاهوت المعاصر دراسات نقدية، ص410.
[12]- أبو زيد، نصر حامد، إشكاليات التفسير ونظريات التأويل ، بيروت المركز الثقافي العربي، لات، ص13.

لكل علم غاية أنشأ من أجلها، فإذا لم تكن غاية وهدف من ذلك العلم، يصبح الغرض من إنشائه غير عقلائي وعديم الجدوى، ويرى أصحاب الهرمنيوطيقا، إنَّ الهدف منه عدة أمور:

1- هو فهم الأفكار المكتوبة والشفاهية لشخص المؤلف أو المتكلم تماماً كما كان يفكر به.

2- ويرى آخر أنَّ الهدف منها هو الكشف عن نية المؤلف.

3- ويرى دلثي بأنَّ الهدف منها: هو الارتقاء برتبة وقيمة العلوم الإنسانية، والارتفاع بها إلى رتبة العلوم التجريبية[13].

4- ويرى آخرون أن الهدف يتعدى فهم النصوص والتأويل، والوصول إلى المعاني الخفية من الألفاظ، بل أنها تعتبر النص يحتمل معناً افتراضياً، قافزاً في الرؤيا التي يحملها على المذاهب الكلاسيكية التأويلية، ومبرراً دعواه على ذلك من خلال الهواجس المعرفية التي يحملها النص[14] .

المطلب الثالث: تاريخيَّة الهرمنيوطيقا

من خلال تتبعنا وقراءاتنا لبعضٍ من المصادر التي كتبت عن تاريخ الهرمنيوطيق، وجدنا بأنَّ جذور الهرمنيوطيق تعود إلى فترة ليست بقصيرة، حينما أطلق هذا اللفظ على قسم من أقسام كتاب الأورغانون (حول منطق القضايا) والتي تعني فن التأويل ، وقد وضعه أرسطو كجزء من أجزاء المنطق في جزئه الثاني مطلقاً عليه اسم (العبارة)[15]، وكذلك الفيلسوف والمتكلم النصراني (سنت أوغسطين) والذي اعتبر علّة إبهام الكتاب المقدس هو الخلط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، وفي القرون الوسطى استخدم المصطلح بمعنى تفسير وتأويل الكتاب المقدس، حيث يشير إلى مجموعة من القواعد التي يجب أن يتبعها المفسر لتفسير النص الديني (الكتاب المقدس)، ثم توسع ليشمل تفسير مطلق النصوص، وقد طبع أول كتاب باسم (الهرمنيوطيقا) عام 1654 ومؤلفه (دان هاور)[16].

علماً أنَّ البعض من المسلمين طرح أبحاثاً مشابهة لنظرية الهرمنيوطيق في كتب الفقه، والأصول، والتفسير، حيث إن علمي الأصول والتفسير يهتمان بقواعد فهم وتوضيح المتن، علاوة على ما تقدم فهناك قسم من مناهج التفسير تعتبر من المواضيع التي لها تقارب مع الهرمنيوطيق كالتفسير الإشاري:(الرمزي، ، الكنائي، التمثيلي)[17].

ويمكن إجمال أبرز الإصلاحات البروتستانتية من خلال ما يلي:

1- الحصول على الغفران نعمة من الله ولا يشترط ما يسمى بصكوك الغفران .

2- لكل الأفراد الحق في التفسير ولا تشترط الرجوع إلى البابا في كلمته التي تعتبر القوق الفصل في ذلك[18].

3- يعد الكتاب المقدس هو مرجعهم الوحيد المختص بقضايا الإيمان.

---

[13]- رضائي، محمد على ، المصدر السابق، ص300.

[14] - عز العرب الحكيم بناني."الهرمينوطيقا والفلسفة". ضمن: كتاب آفاق هرمينوطيقية. منشورات دار ما بعد الحداثة المغرب. 2007.ص:10

[15]- انظر: حنفي، حسن، مجلة قضايا إسلامية معاصرة الاجتهاد الكلامي، ص315.

[16]- الرضائي، محمد على المصدر السابق، ص298.

[17]- المصدر نفسه، ص299.

[18]- Ewald M. Plass, *What Luther Says*, 3 vols., (St. Louis: CPH, 1959), 88, no. 269; M. Reu, *Luther and the Scriptures*, Columbus, Ohio: Wartburg Press, 1944), 23.

4- تمتع جميع المسيحيين بسلطة الكهنوت ولا تقتصر على الكهنوت الخاص[19].

المبحث الثاني: مدارس الهرمنيوطيق.

إنَّ المتتبع لهذا النوع من المناهج المتخصصة في تبيين وتوضيح النصوص الدينية، يجدها كبقية المناهج والعلوم الأخرى لم تبق على حالها، بل هي في حركة ونشاط مستمر، ويمكن من خلال تتبعنا لمراحل تطور المدارس الهرمنيوطيقية حصرها في مدارس ثلاث ، فكل مدرسة لها فترة زمنية، ولها أجوائها الخاصة التي تنطلق منها، وتساهم بشكل جلي في بناء الأسس التي تكونت ونشأت منها تلك المدارس، فالعادات والتقاليد والأعراف، لها مدخلية كبيرة في التأثير على كل فن وكل علم، وهذا الأمر بين ولا يحتاج الى دليل لإثباته، وحينما نستقرأ الأدوار التي مرت بها الهرمنيوطيقا نجدها تختلف فيما بينها، فكل حقبة زمنية، لها أسسها ومنطلقاتها، ورجالاتها الذين أبدعوا في كل مرحلة من مراحلها (الكلاسيكية – الرومانسية – النسبية) وسنتكلم عن كل مرحلة من المراحل من حيث النشأة والتطور من جهة ومن حيث المبدئ والامتياز من جهة أخرى:

المطلب الأول: المدرسة الكلاسيكية (المنهجيَّة).

تبلورت بشكل جلي الأسس الفكرية لهذه المدرسة في القرن السابع عشر على أيدي علماء الفكر الإغريقي (أرسطو وأفلاطون، وأوغسطينوس، ودان هاور) وامتدت إلى القرن العشرين، وتشير المصادر إلى أنَّ أول كتاب طبع يحمل عنوان (الهرمنيوطيقا) لدان هاور عام 1654 وهو التاريخ الذي اعتبره غادامير المرحلة الهامَّة التي تميز بين التأويل اللاهوتي والقانوني[20]، ومن ثمَّ اتخذ كلادينيوس الهرمنيوطيقا العامَّة من خلال اعتماده على الفقه الكلاسيكي ومؤكداً على قصد المؤلف بوصفه هدفاً محورياً لمسائل الهرمنيوطيقا من جهة، ومن جهة أخرى على البعد النفساني من أجل الوصول إلى الغرض المراد[21]، إلا أنَّه يمكن الإشارة إلى نكتة هامَّة هنا وهي: أنَّ منحى الهرمنيوطيقا كان لغوياً يتعامل مع الألفاظ حصراً في حدود المعنى والبيان، فالاهتمام منصباً على فهم لغة النص[22]، ويرجح البعض أنَّ هناك أسباباً تكمن وراء ظهور هذا النوع من الفن الـتأويلي، نستطيع إجمالها بما يلي:

1- نهضة الإصلاح الديني التي حدثت في القرن السادس عشر الميلادي، والذي أطلق عليه بعصر النهضة في أوروبا[23].

2- انتشار الفكر البروتستانتي الإصلاحي، بعد حصول القطيعة بين المذهب والكنيسة في روما[24].

19- Luther, Martin. *Concerning the Ministry* (1523), tr. Conrad Bergendoff, in Bergendoff, Conrad (ed.) Luther's Works. Philadelphia: Fortress Press, 1958, 40:18 ff.

20- غادامير، هانس غيورغ فلسفة التأويل الأصول. المبادئ الأهداف، ترجمة: محمد شوقي الزين، ط ٢، الدار العربية للعلوم بيروت، والمركز الثقافي العربي المغرب، منشورات الاختلاف الجزائر ، ت ٢٠٠٦م، ص ٦١-٦٢ .

21- أنظر: رضا، علي، الهرمنيوطيقا الكلاسيكية وتفسير القرآن، اللاهوت المعاصر دراسات نقدية، ص411.

22- أنظر: شبستري، محمد مجتهد: مجلة قضايا إسلامية معاصرة كتاب الاجتهاد الكلامي، مصدر + سابق، ص ٦٤.

23 - هي حركة ثقافية واقتصادية والتي ازدهرت فيها الاكتشافات، وظهر فيها المفكرون والعلماء، وتراجع نظام الاقطاع وسطوة الكنيسة حدور القرن السادس عشر، والتي بزغت في إيطاليا، ومن ثم انتشرت في عموم أوروبا. بتصرف: الزيدي، مفيد، موسوعة تاريخ أوروبا (عصر النهضة) ج2، ص9.

24- يشير الإصلاح البروتستانتي (1517-1648) إلى الثورة الدينية والثقافية والاجتماعية الواسعة التي شهدتها أوروبا في القرن السادس عشر ، والتي كسرت قبضة الكنيسة في العصور الوسطى ، مما أتاح المجال لتطور تفسيرات شخصية للرسالة المسيحية، وأدى إلى نشوء الدول القومية الحديثة. ويُعتبر أحد أهم الأحداث في التاريخ الغربي، فالكنيسة البروتستانتية حركة (*) إصلاحية بدأت في الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر متأثرة بدعوات الإصلاح السابقة لها، ومن ثَمَّ تحولت من

3- ضعف المرجعية الكنستيَّة .

يرى الإصلاحيون بأنَّهم في ضرورة قصوى لوضع قواعد ومنهجية لتفسير الكتاب المقدس.[25]

- **مبادئ المدرسة الكلاسيكية.**

إنَّ لكل أصحاب مدرسة مبادئاً ينطلقون منها، ويرتكزون عليها، فكان المبدأ الذي تسعى من أجله هذا المدرسة، هو: ان تجد منهجاً وطريقا قائماً على أسس وركائز سليمة يساعدها في تفسير النص المقدس بدلاً من الفوضوية في تفسير النصوص المقدسة، فهؤلاء يؤكدون على أمرين هامين هما:

1- رفع الإبهام عن النَّص، ووظيفة المفسِّر إزاحته، وكشف الغموض عنه.

2- إنَّ النص متجلٍّ لقصد المؤلف ونيته[26].

المطلب الثاني: المدرسة الرومانسية أو الرومانطيقية .

ويعد من أهم أعلامها ومن اوائل مؤسسيها، شلاير ماخر (1768- 1834) [27]، الذي أطلق عليه ديلتاي بـ(كانت الهرمنيوطيقا)، فقد حقق قفزة في مجال المعرفة الهرمنيوطيقية، فقد انتقل رائدها شلاير ماخر من مجال العلوم اللاهوتية إلى مجال العلوم الإنسانية ليضع بذلك نظرية متكاملة في فهم النصوص[28]، وعلى حد تعبير حامد أبو زيد يقول : أدخل شلاير ماخر الهرمنيوطيقا إلى مرحلة جديدة تجاوزت الحالة التقليدية المختصة بالكتاب المقدس، وذلك بخلق فاعلية جديدة للهرمنيوطيقا تجعلها حاضرة في كل النصوص، وأعُتبر هذا إيذاناً لمرحلة أصبحت الهرمنيوطيقا فيها علماً له خصوصيته الساعية إلى توفير فهمٍ صحيح لكل قول مهما كان نوعه، وبالتالي «يعود إليه الفضل في أنه نقل المصطلح من دائرة الاستخدام اللاهوتي ليكون علماً أو فنًّا لعملية الفهم وشروطها في تحليل النصوص[29]، فشلاير ماخر ينطلق من قاعدة سوء الفهم المبدئي لأي نص وبخاصة النصوص المتقدمة زمناً، ما يجعل من الضروري إيجاد منهج تأويلٍ يعصمنا من سوء الفهم[30]، ولم تنحصر هرمنيوطيقا شلاير الماخر(الحدثية) ، بل تعدته إلى أشخاص آخرين، كان من أهمهم وفي طليعتهم (فيلهلم دلتاي 1833-1911) الذي كان له الأثر البارز في هذه المدرسة، ويمكن الوقوف عند أهمِّ آرائه التي تمثلت بما يلي:

1- يرى أن أصل المشكلة هو انحصار استخدام نظرية كانط المعرفية في مجال العلوم الطبيعية، ومن خلال الالتفات إلى عمق الاختلاف الجذري بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، ؛ وسعى إلى أن يمارس دور

حركة إصلاحية داخل الكنيسة إلى حركة عقائدية مستقلة ومناهضة لها، ومن أبرز المؤسسين: مارتن لوثر. كتاب الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - ص615.

[25]- أنظر: علي، غيضان، الهرمنيوطيقا والنص الديني بين الضرورة العصرية والبدعة الغربية، ج 4، العدد 19 ، 2020، ص94

[26]- أنظر: مختاري، محمد حسينن تحليل مباني الهرمنيوطيقا عند شلاير ماخر، مجلة الحياة الطيبة، العدد 36، 2017، ص166.

[27]- ولد الفيلسوف واللاهوتي الألماني فريدريش دانييل شلايرماخر بفروكلاف (سيليزيا) في 21 نونبر 1768 من عائلة بروتستانتية. تعلّم بالمدرسة الإكليريكيّة للإخوة المورافيّين في باربي وكان شديد الانزعاج من انضباط هذه المدرسة، ودرس في جامعة هال من سنة 1787 إلى سنة 1789، اجتاز في سنة 1790 ببرلين الامتحان اللاهوتي لختام الدراسة، وذاع صيته نتيجة مؤلّفه "خطب في الدين" (1799) الذي أثار سجالاً واسعاً ومؤاخذات جمّة تولّى شلايرماخر الإجابة عليها في كتابه "مناجاة النفس" (1800) وسُمّي "أستاذًا فوق العادة" للاهوت بجامعة هال وأقبل على دروسه جمع غفير، انتخب شلايرماخر سنة 1811 عضواً بأكاديميّة العلوم البروسيّة، وأصدر مؤلّفات عدّة اعتبر شلايرماخر "أنّ أساس الوجود اللامتناهي هو الله، حيث تلتقي عنده جميع المتناقضات، انظر: الموسوعة الميسّرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ص 31.

[28]- طلبة، منى، الهرمنيوطيقا المصطلح والمفهوم، مجلة ابداع ، العدد الرابع، 1998، ص55.

[29]- أبو زيد، نصر حامد ، إشكاليات القراءة وأليات التأويل، ص20.

[30]- أحمد، معتصم، الهرمنيوطيقا بين النص والنسبية، ص29.

كانط في مجال العلوم الإنسانية، وجدير بالذكر أن مناقشة (دلتاي) في العنصر التاريخي، ساهمت في تهيئة الأرضية للهرمنيوطيقا الفلسفي)[31] فهو يعتمد على التفريق بين «الفهم» و «التبيين»، فإنَّ تبيين الحوادث الطبيعية يعتمد على استخدام القوانين الكلية، أما المؤرخ فهو يسعى إلى فهم أعمال المسببين للحوادث التاريخية عن طريق الكشف عن نواياهم وأهدافهم وآمالهم وطبيعة شخصياتهم)[32].

2- أكد على وجود فرق بين العلوم الطبيعية والإنسانية من خلال الأعمال الباطنية (الداخلية) للإنسان المرتبطة بتجربته الإنسانية بخلاف العلوم الطبيعية التي لا تكترث أصلاً بذلك[33].

3- التفت دلثاي إلى قضية هامَّة وكانت مدار جدل عند أهل العلم، وهي ما يسمى بالاتجاه التاريخي: (الذي يعني دراسة الظاهرة على أساس عصرها وزمانها)؛ فلا بد من اعتماد معايير الظاهرة والزمان التي حدثت فيه، لا ان نتبنى معايير زماننا.

4- يعتبر دلتاي من دعاة الموضوعية: (وهو المنهج الذي يستعيد امتلاك الظاهرة الإنسانيّة ضمن السيّاق الثقافي والاجتماعي والتّاريخي أو علامات أو رموزا)[34].

5- من اعتقادات دلتاي عدم هروب الإنسان من التاريخ، لوجوده في التاريخ، فالإنسان يذوب في تيّارٍ التاريخ ويتغير [35] ، وتعني التاريخية: (رؤية كل شيء في إطارٍ بحيث يكون قد تشكل هذا الشيء في الماضي).[36]

- أسس المدرسة الرومانسية.

ويمكن تلخيص أهم معالم وأسس هذه المدرسة بما يلي:

1- إنَّ أي نص لا يخلو من الحاجة إلى الهرمنيوطيقا، وبقيد عبارة (أي) فكل النصوص مشمولة ضمن ما يسمى بالمصطلح الحديث بسونار الكشف الهرمنيوطيقي، سواء كان مقدساً أم لا.

2- انَّ الإبهام للنص يحصل نتيجة لبعض الموانع التي تحول دون الفهم الصحيح، فيأتي دور الهرمنيوطيقا للبحث عن تلك الموانع وتحييدها.

3- أنَّ الوصول إلى قصد المؤلف يكون من خلال الرجوع إلى بعض القرائن سواء كانت لفظية (مقالية) أو غير لفظية (حالية).

4- عدم وقوف الفهم عند حد معين، بل تتعدى مراد المؤلف، وللقارئ تفسير النصوص حسب فهمه وما يملك من أدوات تؤهله لذلك[37].

5- عنصر الحدس والتنبؤ بقصد المؤلف وفكره الذاتي له مدخلية في عملية الفهم[38].

6-تأثره بالرومانسية ومعالمها: وهذا جلي من خلال المعالم ذكرت في نظرية شلاير ماخر[39].

---

[31] - انظر: بول ريكور، «رسالت هرمنوتيك»، في: ديفيد كوزنن هوى، حلقه انتقاى: ادبيات، تاريخ وهرمنوتيك فلسفى، ترجمة: يوسف أباذري ومراد فرهادبور، ص: ١٦.

[32]- رضائي، محمد، دروس في المناهج والإتجاهات التفسيرية للقرآن، ص 301

[33] - انظر: بالمر، ريتشارد علم هرمنوتيك، ترجمة: محمد سعيد حنائي كاشاني، ص ١١٥.

[34] - أنظر: فرحان، أحمد ، الأحكام المسبقة والوعي التريخي عند هانز غادامر، مجلة الضفاف، العدد الثالث، 2019ص228

[35] - انظر: بالمر، ريتشارد علم هرمنوتيك، ترجمة: محمد سعيد حنائي كاشاني، ص: ١٢٨ - ١٣٠.

[36] - إلهي صفدر، المصدر السابق ، ص92

[37]- أنظر: مختاري، محمد حسينن تحليل مباني الهرمنيوطيقا عند شلاير ماخر، مجلة الحياة الطيبة، العدد 36، 2017، ص168

[38]- شرفي، عبد الكريم من فلسفات التأويل إلى نظرية القراءة، ص26.

المطلب الثالث: التأويلية الفلسفية (علم الوجود)

بدأت أفكار هذه المدرسة تتبلور على يد العالم الألماني (هيدجر) في بدايات القرن العشرين، وقد انتقلت هذه المدرسة من المنهجية الكلاسيكية والرومانسية المعرفية إلى مرحلة علم الوجود (النسبية) وقد وصلت في أوج تكاملها على يد (غادامر) لتصبح نظرية فلسفية لها أسسها الخاصة، وأحدثت تحولاً جدياً في التأويلية وكان لها نفوذ بين أوساط الباحثين في مختلف الأماكن، ويعتقد أنصار النسبية بعدم وقوف الفهم عند حدَّ معين، وعدم الالتفات إلى مراد المؤلف والاستقلال في الفهم والتفسير[40].

إنَّ نسبية المعرفة تعني: أنَّ ما يعتبر معرفة لدى أبناء ثقافة ما، إنّما هو حصيلة الحاضنة الثقافيَّة أو النظرية لديهم، وقد لا يكون معرفة بالنسبة إلى أفراد سائر الثقافات الأخرى[41].

- **ضوابطها وأسسها.**

سنتكلم بعونه تعالى عن أسس وضوابط تلك المدرسة التي تمثلت في شخصيتين مهمتين، وهما هيدجر وتلميذه غادامر، واشتهرت تلك المدرسة في زمنه أكثر من زمن معلمه (هيدجر)، وسنشير إلى تلك الضوابط عند كليهما خلال ما يلي:

أ- مارتن هايدغر Martin Heidegger 1889-1976م[42].

1- يرى هيدجر إنه لا يمكن الفصل بين الإنسان والعالم ، ويرى بأنَّ الفلسفة يدو بحثها عما هو موجود ، فالوجود يجمع الموجود من حيث هو موجود[43].

2- طبيعة الوجود أو الكينونة بوصفها أنطولوجيا للإنسان[44]، يقول هايدغر: «إن كل أنطولوجيا، إنما تبقى في أساسها عمياء وتبقى انحرافاً عن مقصدها الأخص، إن هي لم توضح قبلاً معنى الكينونة كفاية، ولم تتصور هذا الإيضاح بوصفه مهمتها الأساسية»[45]

3- إنّ الدازاين هو الذي يسعى دائماً إلى وجوده الأصيل والمتفرد في العالم، فهو منفصلٌ عن القطيع في الأحكام والآراء السائدة، وتشغله أسئلة كونية ومصيرية[46].

4- ينشأ الاغتراب عند هايدغر من الوجود الزائف عند الإنسان الذي يسقط في مشاريع الآخرين، ويكون مجرد رقم في جماعة وهذه أيضاً إمكانية في الوجود[47].

5- يكشف القلق عن العدم، وهو وجود ذاتي وحرية تسعى إلى نفسها[48].

---

[39]- كما تتأثر هذه النظرية بالرومانسية التي تبرز أهمية المشاعر والانفعالات الداخلية لكل من الفنان والقارئ.

[40]- مختاري، محمد حسين، تحليل المباني الهرمنيوطيقية عند شلاير ماخر، مجلة الحياة الطيبة، العدد 36، 2017م، ص166-167

[41]- صالحي، محمد عرب، نقد على الهرمنيوطيقا الفلسفية لغادامير، اللاهوت المعاصر دراسات نقدية، ص61.

[42]- فيلسُوف أَلَمَّانِي. ولد جنوب ألمانيا، درس في جامعة فرايبورغ ، ثم أصبح أستاذاً فيها عام 1928. وجه اهتمامه الفلسفي إلى مشكلات الوجود والتقنية والحرية والحقيقة وغيرها من المسائل. ومن أبرز مؤلفاته: الوجود والزمان (1927) ؛ دروب مُوصَدة (1950).

43 - هايدغر، مارتن ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقيا؟ هولدرلين وماهية الشعر، ترجمة فؤاد كامل ومحمود رجب، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1974، ص58-60-61-72 (بتصرف).

44- المصدر نفسه، ص38-86-87 (بتصرف).

45 - ينظر هايدغر، مارتن الكينونة والزمان، ترجمة وتقديم وتعليق فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2012، ص62.

46 - الشمري، سليم عكيش الوجودية الجديدة عند كولن ولسون، شبكة المعارف، ط1، بيروت، 2010، ص 178.

47 - المصدر نفسه، ص 178.

آراء غادامر.

هانس جورج غادامر Hans Georg Gadamer – 1900 -2002[49]

يعد أقوى شخصية طرحت النظرية التأويلية في العصر الحديث، في كتابه المعروف (الحقيقة والمنهج)، ويمتلك خاصية تاريخية جعلته محل اهتمام من قبل المؤلفين من فقهاء اللغة قديماً

وسنقف على أهم معالمها ومعطياتها باعتبارها الأكثر تأثيراً وانتشاراً في فهم النَّص من خلال مايلي:

1- استقلالية النص عن المؤلف: فظاهرة التفسير تدور حول (محورية المفسر) لا (محورية النص والمؤلف)، ويعد هذا الرأي من أهم الآراء في نظريته[50].

2- استحالة الوصول إلى المعنى الأصلي للنص، لأن عملية الفهم أو التفسير، (سيظل ينقصها دوماً جزء من الإيقاعات المتموجة في النص الأصلي)[51].

3- يقول غادامير:«فلا ينبغي أن نتناول التاريخ من الخارج أو من موضوعية مصطنعة، فالتاريخ شيء نعانيه دائماً من الداخل بما هو كذلك، من حيث إننا نقف فيه» [52].

4- أكد غادامير استحالة حصول قراءة من دون مسبقات تحرك عملية القراءة وتولد فهماً معيناً للنص، يعني «أن نستخدم مفاهيمنا المسبقة الخاصة»[53].

5- يقول غادامير: «كل تأويل مرتبط بوضعية ما، وتُشكله وتُحدده المعايير النسبية تاريخياً في ثقافة محددة». فالمؤول (فقيهاً كان أم مفسراً) لا يمكنه أبداً أن يضع ذاته جانباً وهو يحاول فهم النص وتأويله،[54]، وخلاصة دورته الهرمنيوطيقية هي:(المؤلف التاريخي، المفسر الذاتي، والنَّص في معناه الكلي، وهي دائرة لا تنتهي وكل سؤال فيها يؤدي إلى سؤال جديد).[55]

المبحث الثالث: الهرمنيوطيقا بين العقل الحداثوي والميزان الإسلامي.

المطلب الأول: الهرمنيوطيقا و العقل الحداثوي

تعد التأويلية الهرمنيوطيقية بنسختها الغربية عبر مراحلها الثلاث من الأطروحات الحديثة على العالم العربي والإسلامي، لذلك يرى المتتبع أنَّهم لم يهتموا بها ولم تظهر في أوساطهم العلميَّة والفكرية إلا بعد عشرات الأعوام، وذلك لم ينبع من فراغ كونهم يوجد لديهم ما يسد حاجتهم إلى تفسير ما لديهم من

---

48 - هايدغر، مارتن ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقيا؟ هولدرلين وماهية الشعر، مصدر سابق، ص31- 35.

49- وُلد هانز جورج جادامير في مدينة ماربورغ بألمانيا، اختار جادامير التوجه نحو العلوم الإنسانية، بدأ دراسته في فروتسواف تحت إشراف هو نجسولاد، لكنه سرعان ما عاد إلى ماربورغ، حيث تتلمذ على يد الفلاسفة الكانطيين الجدد بول نتروب ونيكولاي هارتمان. حصل على درجة الدكتوراه عام 1922 عن أطروحته حول جوهر المتعة في حوارات أفلاطون.

[50]- حسانين، محمد مصطفى، الكتابة والصمت والالتزام المضاد - موقف رولان بارت، التأويل وتحليل الخطاب، المجلد الثالث، العدد الأول، ماي: 2022.

[51]- انظر: غادامير، «اللغة كوسط للتجربة التأويلية،» ص 22. انظر أيضاً: شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة: دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، ص 37 – 50.

[52]- انظر: غادامير، فن الخطابة وتأويل النص ونقد الأيديولوجيا، انظر: Thiselton, The Two Horizons: New Testament Hermeneutics and Philosophical Description, pp. 304 310.

[53]- انظر Richard E. Palmer, Hermeneutics, Studies in Phenomenology and Existential : Philosophy (Evanston: Northwestern University Press, 1969), pp. 180-184.

[54]- انظر: غادامير، هانس «اللغة كوسط للتجربة التأويلية،» مجلة العرب والفكر العالمي، العدد 3 (صيف 1988)، ص 22. انظر أيضاً: عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة: دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة (بيروت: الدار العربية للعلوم – ناشرون، 2007)، ص 37 – 50.

[55]- العبدوني، عبد العالي، هرمنيوطيقا القرآن، ص24.

تراث معرفي ونصوص دينية، وهناك آليات خاصة أرشدتهم إلى كيفية التعامل مع نصوصهم الخاصة سواء قرآنية أو روائية أم فكرية، إلا أنَّ البعض من الكتاب المسلمين الذين أطلق عليهم فيما بعد بـ (الحداثويون) الذين قد تأثروا بهذه الفكر الغربي كمحمد أركون الذي دعا إلى عدم الفصل بين الحضارات، وساهم في نقد العقل الإسلامي إلى حد أنَّ البعض اتهمه بتحريف القرآن[56]، يرى المتتبع لهؤلاء أنَّ هناك أسسا تجمع بيين أفكارهم يمكن تسميتها بـ(أسس للعقل الحداثي) والتي يمكن إجمالها بما يلي:

1- التأكيد على سلطان العقل، نبذ المقدسات الدينية

2- التأكيد على مقولة التقدم

3- تجاوز الثقافة التأملية إلى الفكر التجريبي

4- التأكيد على ممارسة النقد والتحرر من القوالب الجاهزة والحقائق اليقينية المطلقة[57].

نماذج من الحداثويين

هناك العديد من الأشخاص الذين ساروا في الركب الحداثوي من الكتاب المسلمين، وممن تأثر بهم بعض النخب الشبابية في مجتمعنا، ومراعاة للإيجاز وعدم الإطناب سنقتصر على نموذجين، هما (نصر حامد أبو زيد و محمد مجتهد شبستري).

أ- نصر حامد أبو زيد (1943- 2010)

هو من مواليد 1943، حاصل على دكتوراه من قسم اللغة العربية وآدابها ، تنقل في مختلف المناصب لعدة جامعات في داخل مصر وخارجها، وتوفي 2010، لديه العديد من المؤلفات في ميدان العلوم الإنسانية من الكتب والمقالات ومن أبرزها: الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، نقد الخطاب الديني، ومن أشهر مقالاته: المنهج النفعي في فهم النصوص الدينية (رد على شحرور)[58].

أهم آراءه وأفكاره.

يرى أبو زيد بأنَّ الخطابات القرآنية من نتاج البئية ولا يمكن أن تنسجم مع واقعنا المعاش، ووصف المجتمعات الدينية التي احتضنت تلك الأفكار والرؤى بالرجعية والمتخلفة، ويمكن إجمال أهم آرائه بما يلي:

1- يرى أبو زيد بأنَّ كل نشاط ذهني بشري يمكن أن يكون وحياً، وعلى هذا الأساس استنتج أنَّنا كبشر يجب أن نكون أنبياء، فالطبيعة توحي لنا، وصوتها الذي يدوي في اعماقنا هو ذات صوت الله)[59] وهو بحد ذاته يعد تصريحاً خطيراً من الناحية العقدية التي تنطوي على مفاهيم متعددة.

---

[56]- (لنذكر الآن المهام العاجلة التي تتطلبها أية مراجعة نقدية للنص القرآني..، أي نقد القصة الرسمية لتشكيل القرآن، هذا يتطلب منا الرجوع إلى كل الوثائق التاريخية سواءً كانت ذات أصل شيعي أم خارجي أم سني، هكذا نتجنب كل حذف تيولوجي لطرف ضد آخر، بعدها نواجه ليس فقط مسألة إعادة قراءة هذه الوثائق، وإنما أيضاً محاولة البحث عن وثائق أخرى ممكنة الوجود كوثائق البحر الميت التي اكتشفت مؤخراً) [تاريخيةجان الإسلامي، أركون، 290]

[57]- أنظر: قيدارة، الأسعد بن علي، النَّص الديني من الوهم إلى الاهتداء، مجلة الحياةالطيبة، العدد 36، لسنة 2017م ، ص21.

58- الشُّربجي، محمّد يوسُف، مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد (عرض ونقد)، ص4-5.

[59]- المصدر نفسه، ص4-5.

2- طالب بالتحرر من سلطة « النصوص الإسلامية » التي هي عبارة عن منتج ثقافي كما يدعي، إذ يقول: : « بأنَّ النَّص في حقيقته وجوهره منتج ثقافي »[60].

3- فظاهرة الوحي - بحسب وصفه له وزعمه عنه - ما هو إلا من خيال الأنبياء ناتج عن ظروف الفقر واليتم والاضطهاد [61].

4- أكد على ظاهرة فهم النصوص القطعية التي لها علاقة بالأمور الاعتقادية كالكرسي والعرش وغير ذلك، إذ يجب أن نفهمها على ضوء واقعها الثقافي[62].

5- يدعي بادعاء يستشف منه عدم اطلاعه على أحكام القرآن، إذ يقول: الاعتماد على مرجعية النصوص الإسلامية في حل المشكلات يؤدى إلى إهدار حق المواطن الغير مسلم [63].

6- آمن بنظرية غا دامر بإعطاء المفسِر الدور الأساس في فهم النَّص القرآني، إذ يقول:(تحوّل النص من كونه (نصًا إلهيًّا) إلى (نصا إرشاديًا)، لأنَّه تحوّل من التنزيل إلى التأويل[64].

6- يتهم الخطاب الديني بالتأزم مدعياً أنه معتمداً على نصوص شاذة، الشاذة بشكل،إذ يقول:(ولأنه خطاب مأزوم فهو يعتمد على النصوص الشاذة) [65].

7- وأخيراً من النقاط التي أثارها، عدم صلاحية النُّصوص الشرعية لكل زمان ومكان [66].

ثانياً: محمد مجتهد شبستري.

مواليد 1936 من مدينة شبستر، سافر إلى قم لغرض الالتحاق في الدراسات الحوزوية، وقد تفوق في معظم العلوم التي درسها، ومن ثمَّ هاجر إلى أوروبا وأقام في مدينة همبورغ الألمانية، وعمل بقوة من أجل دعم الحوار الإسلامي والمسيحي، بعد تعلمه اللغة الألمانية انصب اهتمامه على دراسة اللاهوت المسيحي، وركزَّ اهتماه على اللاهوت البروتستانتي ، عاد إلى إيران بعد سقوط نظام الشاه عمل استاذاً في جامعة طهران كلية الالهيات، وتجلت اهتماماته في علم الكلام الإسلامي القديم والجديد والفلسفة الإسلامية، نشرت عنه كتب و مقالات في الدفاع عن حقوق الإنسان والديمقراطية محاولاً أدلجتها والنظام العالمي في ذلك، وقد أكد في كل مؤلفاته على إنَّه "لا بد أن تكون الحرية الباطنية للإنسان مرتبطة أيضا بحرية خارجية. ذلك أن القرار الباطني الذي يعقد به المرء التزامه تجاه الله لا يمكن أن يكون مفروضا من الخارج"[67]، ومن أهم مؤلفاته: هرمنيوطيقا الكتاب والسنة، الانسان والعقل الحرية، القراءة النبوية من الحياة[68].

60 - أبو زيد، نصر، حامد، مفهوم النص ، ص24
61 _ أبو زيد، نصر، حامد، المصدر السابق، ص69 (ومن خلال متابعتي لبعض آراء المستشرقين فهؤلاء يطرحون تلك الشبهة بعينها)
- 62أنظر: أبو زيد، نصر، حامد، نقد الخطاب الديني، مصر، القاهرة، منشورات سيناء:1992مص203.
63- الخراشي، سليمان بن صالح، نصر حامد أبو زيد ... و (الهرمنيوطيقا)، صيد الفوائد، https://saaid.org/Warathah/Alkharashy
64- أبو زيد، نصر، حامد، نقد الخطاب الديني، ص126.
65- أبو زيد، نصر حامد، دائرة الخوف، قراءة في خطاب المرأة، ص88.
66- أنظر: أبو زيد، نصر حامد، نظرة جديدة للقرآن، ص36.
67- أنظر: شبستري، محمد ، الإيمان والعقل والحرية، ترجمة علي مصباح، https://nawaat.org/2005/02/21
68- مجموعة مؤلفين، محمد مجتهد شبستري دراسة النظريات ونقدها، ص13- 17.

آراء شبستري.

رفد شبستري المكتبة الإسلامية وغير الإسلاميَّة بالعديد من الكتب والمقالات متطرقاً فيها إلى أهمِّ الآراء التي يتبناها ونادى بها، ويمكن ذكر أهمها بشكل مجمل:

1- إنَّ فهم المراد لنص من النَّصوص منوط بتفسير ذلك النص.

2- إنَّ من يهدف إلى فهم النَّص لابد من مراعاة الأمور التالية:

أ- المعنى الخاص للنَّص ليس بديهياً وبيّناً.

ب- لكلّ نَّص وجوه متعددة وتحتمل فيه معان متنوعة ومتعددة.

ت- وظيفة المفسر هي تشخيص المعنى الصحيح للنَّص واختياره، واستبعاد التَّفاسير غير المناسبة والمعاني غير الصائبة[69].

1- اختار شبستري خمس من القضايا تتعلق بمقدمات التَّفسير وفهم النُّصوص، وهي كالتالي:

أ- قبليات وأوليات المفسر (الدور الهرمينيوطـيقي).

ب-ميول وتطلعات المفسر.

ج-استنطاقه للتاريخ.

د-تشخيص مركز المعنى (البؤرة) وتفسير النص كمجموعة تدور حول هذا المركز. ه-ترجمة النص إلى الإطار التاريخي للمفسر[70].

4 – يذهب شبستري إلى أنَّ المراد من مفردة النقد ليس السباب أو الشتم أو غيره، بل فحص موضوع من الموضوعات والقصد من وراءه هو الحكم عليه[71]، ولابد أن نبين نوعين من النقد، وهما الداخلي والخارجي، فاالداخلي هو المنطلق من داخل الفكر الديني المؤمن به، وأما الخارجي هو الذي لا يؤمن بالفكر الديني أصلاً ومن المرجح أن يقف منه موقفاً مضاداً.[72]

5 - إنَّ رؤيته في نقد الفكر الديني لا تتنافى والمبادئ والأسس الإيمانية، إلا أنَّ المتتبع لكتاباته يرى أنه مضطرباً في خصوص هذه المسألة، فأحياناً يتطرق إلى نقد الفكر الديني ويفرق بينه وبين الدين الإلهي، ومرة أخرى يتكلم عن نقد الدين بحد ذاته.

6-لابد من إعطاء الرؤى والنظريات العلمية الجديدة قيمتها إذا كانت لدينا الإرادة في التحدث عن علم كلام جديد، آخذين بعين الاعتبار التغيرات والأحداث التي رافقت المجتمعات العالمية وضربتها في الصميم[73].

المطلب الثاني: الهرمنيوطيقا و الميزان الإسلامي

69- أنظر: شبستري، محمد مجتهد، الهرمنيوطيقا والكتاب والسنة، ص15-16.
70- أنظر: شبستري، المصدر نفسه، ص17-18.
71 - أنظر: نقد الفكر الديني وتجديد علم الكلام عند محمد مجتهد شبستري، كتفي، زهير، ص7.
72 - أنظر: شبستري، محمد مجتهد، مدخل إلى علم الكلام الجديد، ص22-23
73 - نقد الفكر الديني وتجديد علم الكلام عند محمد مجتهد شبستري، كتفي، زهير، ص22.

هو الكتاب الذي نعتقد به كمسلمين معصوم من الخطأ لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه، وهذا مما يدل على عصمته من الزيغ والاهواء ولم تمتد إليه يد الضلال والتحريف، وأنَّ من انزله هو الذي حفظه إذ يقول تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[74]، وهو من أحكم صياغة آياته ثم فصلها بحكمة تامة تدل على حكمته وخبرته التي لا تقاس بحكمة وخبرة أي مخلوق في الوجود: ﴿ الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[75] وقد توارث المسلمون عظمته تلك كابر عن كابر، ولم نرد الاستقصاء في تبين تلك العظمة فهي من أوضح الواضحات عندنا كمسلمين.

بيد أننا سنتكلم وفقاً لمسار بحثنا، وموضع كلامنا، وهي القراءة التأويلية للنصوص المقدسة وغيرها أو ما يطلق عليها بـ (الهرمنيوطيقا) سواء كانت الكلاسيكية ام الرومانسية ام النسبية، وقد يتبادر إلى ذهن البعض وبنية صادقة بأنَّ نصوصنا الإسلامية (قرآناً وسنةً) بحاجة إلى هكذا نوع من الآليات والأدوات كي تساهم في تفسيرها، وتوضيحها.

أولاً- تبيّن أن الهرمنيوطيقا تطورت من "منهج تفسير" إلى "فلسفة فهم" وصولاً إلى "نسبية دلالية"، وأن هذا التحول هو مصدر الإشكال الأكبر عند تطبيقها على النص الديني الإسلامي.

ثانياً- أثبت البحث أن مركزية القارئ عند الاتجاه الفلسفي (هايدغر/غادامر) تُضعف إمكان الوصول إلى المعنى الأصلي، وتفتح الباب لتعدديات غير منضبطة في الفهم.

ثالثاً- اتضح أن بعض مشاريع القراءة الحداثوية للنص الديني (مثل أبو زيد وشبستري) تقوم على فرضيات تاريخية وثقافية تجعل النص منتجاً بشرياً أو قابلاً للتسييل الدلالي، بما يتعارض مع مبدأ القداسة والمرجعية في التصور الإسلامي.

رابعا- بيّن البحث أن المنهج الإسلامي في التفسير يمتلك أدوات كافية وفاعلة (القرآن يفسر بعضه بعضاً، السنة، قواعد الأصول، المحكم والمتشابه) تغني عن استيراد أدوات نشأت لعلاج أزمة نصية في سياق آخر.

خامساً- انتهت الدراسة إلى أن تعميم الهرمنيوطيقا—خصوصاً بصيغتها النسبية—قد يقود إلى فوضى معرفية وتأويلية تمس ثوابت الاعتقاد وضبط الأحكام، ما يستدعي تمييزاً صارماً بين "تعدد منضبط" و"نسبية منفلتة."

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أنّ الهرمنيوطيقا، رغم تعدد مدارسها وتحوّلاتها المفهومية، نشأت ابتداءً في سياق معالجة إشكالات تفسير الكتاب المقدس في التجربة الغربية، ثم توسعت تدريجياً لتصبح نظرية للفهم ومقاربة فلسفية للمعنى، وصولاً إلى أطروحات ترفع من مركزية القارئ وتؤكد تاريخية الفهم ونسبية الدلالة. وقد بيّنت الدراسة أنّ هذا المسار—خصوصاً في صورته الفلسفية النسبية—لا يمكن نقله إلى النص الديني الإسلامي نقلاً آلياً دون مراعاة اختلاف البنية العقدية والمعرفية واللغوية بين السياقين. كما أبرزت الدراسة أن التراث الإسلامي يمتلك أدوات تفسيرية وتأويلية راسخة (نصاً ومنهجاً) تُؤسّس للفهم المنضبط القائم على المحكمات، وردّ المتشابه إلى المحكم، والاعتماد على البيان النبوي والسنة بوصفها شارحة ومبيّنة. وعليه، فإنّ المشكلة ليست في وجود تعددية فهمٍ داخل الثقافة

[74] - الحجر: 9.
[75] - هود: 1.

الإسلامية، بل في تحويل هذه التعددية إلى نسبية مفتوحة تُلغي معيارية النص وتفكّك سلطة الضبط العلمي. وتوصي الدراسة بمزيد من الدراسات النقدية المقارنة التي تميّز بين الإفادة المنهجية المحدودة من بعض أدوات التحليل وبين تبنّي الإطار الفلسفي الذي ينتج فوضى تأويلية، بما يحفظ قداسة النص ويضمن سلامة الاستدلال.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً: الكتب

1. أبو زيد، نصر حامد .دائرة الخوف: قراءة في خطاب المرأة .ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2004م.
2. أبو زيد، نصر حامد .نظرة جديدة للقرآن .مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2016م.
3. أبو زيد، نصر حامد .نقد الخطاب الديني .ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م.
4. أبو زيد، نصر حامد .إشكاليات القراءة وآليات التأويل .ط7، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005م.
5. أبو زيد، نصر حامد .مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن .ط4، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998م.
6. أحمد، معتصم .الهرمنيوطيقا في الواقع الإسلامي بين حقائق النص ونسبية المعرفة .ط1، دار الهادي، بيروت، 2009م.
7. الجزائري، أحمد بن إسماعيل .قلائد الدرر في بيان آيات الأحكام بالأثر .ط1، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، 1432هـ.
8. جروندان، جان .مقدمة في التأويل الفلسفي .مكتبة الفكر الجديد، القاهرة، 2017م.
9. رضائي، محمد علي .دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن .ط1، منشورات المركز العالمي، إيران، 1426هـ.
10. الزيدي، مفيد .موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر .ط3، دار أسامة، عمّان، 2004م.
11. الشمري، سليم عكيش .الوجودية الجديدة عند كولن ولسون .ط1، شبكة المعارف، بيروت، 2010م.
12. شبستري، محمد مجتهد .الهرمنيوطيقا والكتاب والسنة .ترجمة أحمد القبنجي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2013م.
13. شبستري، محمد مجتهد .مدخل إلى علم الكلام الجديد .دار الهادي، بيروت، 2000م.
14. شرفي، عبد الكريم .من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة .الدار العربية للعلوم، بيروت، 2007م.
15. شيرازي، ناصر مكارم .الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل .مؤسسة الأعلمي، بيروت، 2013م.
16. صالحي، محمد عرب .نقد على الهرمنيوطيقا الفلسفية لغادامير .المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية التابع للعتبة العباسية المقدسة.
17. الطباطبائي، محمد حسين .الميزان في تفسير القرآن .منشورات جامعة المدرسين، قم، إيران.
18. العبدوني، عبد العالي .هرمنيوطيقا القرآن .ط1، دائرة المعارف الحكمية، بيروت، 2007م.
19. عادل، مصطفى .فهم الفهم: من أفلاطون إلى غادامير .ط1، القاهرة، 2007م.
20. مغنية، محمد جواد .التفسير الكاشف .ط4، دار الأنوار، بيروت، 2009م.
21. بناني، عز العرب الحكيم .الهرمنيوطيقا والفلسفة .ضمن: *آفاق هرمينوطيقية*، منشورات دار ما بعد الحداثة، المغرب، 2007م.
22. بهرامي، محمد .دراسات في تفسير النص القرآني: أبحاث في مناهج التفسير .ط1، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2007م.

ثانياً: البحوث والمقالات العلمية

1. الشربجي، محمد يوسف .مفهوم النص عند نصر حامد أبو زيد (عرض ونقد) .بحث مقدم إلى مؤتمر كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، 2008م.
2. علي، غيضان .الهرمنيوطيقا والنص الديني بين الضرورة العصرية والبدعة الغربية .مجلة الاستغراب، العدد 19، 2020م.
3. فرحان، أحمد .الأحكام المسبقة والوعي التاريخي عند هانز غادامر .مجلة الضفاف، العدد الثالث، 2019م.
4. قيدارة، الأسعد بن علي .النص الديني من الوهم إلى الاهتداء .مجلة الحياة الطيبة، العدد 36، 2017م.
5. مختاري، محمد حسين .تحليل مباني الهرمنيوطيقا عند شلاير ماخر .مجلة الحياة الطيبة، العدد 36، 2017م.
6. منى، طلبة .الهرمنيوطيقا: المصطلح والمفهوم .مجلة إبداع، العدد الرابع، 1998م.
7. حسانين، محمد مصطفى .الكتابة والصمت والالتزام المضاد: موقف رولان بارت .مجلة التأويل وتحليل الخطاب، المجلد الثالث، العدد الأول، 2022م.